

## اكتشافات حديثة في هيليو بوليس

لحضره الاب الكسيس مالون البورجي

لا يزال القوم يعنون احسن السمي في الحفر والتقيب عن العاديات المصرية ولا تزال مباحثهم يتسع نطاقها يوماً فيوماً . واننا نرى كل سنة في فصل الشتاء العدد العديد من علماء فرنسة وانكلترة واطالية واميركة وغيرها من الاقطار ياتون وادي النيل وملئ صدورهم الهيام باكتشاف لم يُسبوا اليه . فمنهم من باسروا الاشغال على نفقتهم الخاصة ومنهم من انتظروا في سلك بلان تقوم حكومتهم بمصارفها . حتى الوطنيين ذاتهم قد يشفقون بحب الجهد الناتج عن هذه الاعمال الخطيرة فيكربسون لها همهم وتسببهم . لذا راينا انه يحلو للمطالع ان ينظر معنا نظراً اجماعياً في ما أتم من الاعمال في هذه السنوات وما كان من الاكتشافات التي وُفق اليها الباحثون . نبدأ بمصر السنلى ثم تتبع ضفة النيل من كل محطة هتة الى اخرى حتى اسوان قفيله

من اشهر مدن مصر واقدمها عهداً مدينة هيليو بوليس . اما مركزها فهو عن مدينة القاهرة بعشرة كيلومترات شمالاً الى الشرق بقرية من قريتي الطرية وعين شس الحديثين في ذات الحبل الذي قامت فيه عزبة الحصن وعزبة العرب . واليه تهديك مسلة فرعون المنتصبه ما بين حقول الذرى وكوم الردم التراصبه في تلك الارجاا . فانك لا تكاد ترى في ذلك السهل المحيط بالمسة سوى الاطلال الخربة عن الابنية القديمة وحطم البائيل والاعمدة والاناريز والحجر الحجب وقطع الرخام التي لم يترك لها الدهر هيئة تهد وقد يقع نظر الناظر فيها على اسم رعميس الثاني او رعميس الثالث . هذا كل ما بقي لنا من تلك المدينة الخالفة الغاية . وقد كانت تفاخر بيكلها البديع ابهى المياكل المصرية . وقد طبق المنور ذكر نأديها الكهنوتي وماهدها العلمية حيث تخرج موسى كليم الله ومنها انبثت انوار المعارف والملم . قبي هذه الاخربة قد ألت مؤخرأ اعمال تنقيية ذات شان قام بدم منها افراد على حققتهم الخاصة وبالقم الاخر السنيور شياپاراتي (Schiaparetti) باسم الدولة الايطالية وعلى حسابها . وما نحن نذكر الان كلامها على حديثه

١

لم يفت اهل البلاد انفسهم ما اودعته اراضيهم من المعاديات اثسينة وكثيراً ما  
 بحثوا وحفروا فباعوا للاجانب ما كانوا يكتشفونه وكان معظم تلك الاكتشافات في  
 مدافن الثور «مناوي» (Mnūvis) على كياومتين من هيلوبوليس شمالاً. وكان من مزاعم  
 قديما - المصريين الدينية ان الشمس كانت تتجدد وتتخف بحجم هذا الثور المقدس  
 مناوي. وكان هيكل هيلوبوليس قبة المتعبدين لها واليه يتقاطرون من كل وجه لآرامها  
 وقد دعت تلك المدينة مكن «را» اعني الشمس ولذا تكاد لا ترى ضيعة من  
 صفائح الحجر التي وجدها في المدفن الا وقد نقش فيه صورة مناوي

ففي سنة ١٩٠١ لقي احداهم مدفناً للثور المقدس فذهب به دون ان تطلع  
 مصلحة المعاديات على هذا المكتشف او تجده له بمدند اثرأ. وفي شهر نيسان من سنة  
 ١٩٠٢ حدث ان رجلاً يونانياً كان يعمل النفس بوجود كثر من الكنوز في بعض  
 الاراضي شمالي هيلوبوليس فاتي وتعاهد مع صاحب المكان على ان يرخص له بالحفر  
 والتقيب فيعطيه ثلث ما يتفق له استخراجاً. فاجال يده في ذلك الحبل بكل نشاط  
 وبعث ان وقع على قبر للثور المقدس من عهد رمسيس الثالث. فلما شاهد اليوناني  
 جدران القبر استولى عليه الملح وخاف ان تعرف الحكومة المصرية باكتشافه فقيم عليه  
 الدعوى. فاسرع واخبر احد مستخدمي مصلحة المعاديات احمد بك كمال باسم القبر  
 فابتاعه احمد بك لتحف المعاديات

ولهذا القبر شأن يذكر - وهو عبارة عن بناء قائم الزوايا مستطيل طوله ٧ امتار  
 و ٨٠ سنتيمتراً وعرضه ٥ امتار في ٨٥ سنتيمتراً له باب واحد عرضه مترو ٢٠ سنتيمتراً  
 من جهة المدينة. وكان هذا الباب مسدوداً ببلاطة واحدة - اما حجارة الجدران فان  
 معظمها كان قد اخذ من غرف هيكل هيلوبوليس وكانت قد اصبحت خراباً على  
 عهد رمسيس الثالث ومن تلك الحجارة يشاهد الناظر قطع الاعمدة وحطم افاريزها -  
 وكانت الجدران من خارجها ملبسة باللبن اما من داخلها فكانت مزينة بتصوير  
 ورسوم تمل عقائدهم الدينية. وكان على واجهة البناء في اعلاه قرص الشمس  
 محنقاً وعلى قائمة الباب اليسرى صورة الاله «ساند» برأس لسد وجد انسان وعلى القائمة  
 اليسرى صورة الاله «انيس» على هيئة ابن آوى جاثياً. ومما يذ المين من التصوير التي

في الداخل صورة الثور . مناري حاملاً بين قرنيه قرص الشمس وجاءت على سرير في طرفيه رأس أسد وقد قامت على جانبيه من جهة الالهة اوزير ومن الاخرى الالهة نكتيس تكتفاه باذرعها الممدودة عليه .

وقد وُجد في هذا القبر اشياء كثيرة منها حجر ضريح مدور من اعلاه وستة آنية كانوبية (Canopes) اربعة من الرمر وثلاثة من حجر الجص وخفصا . من حجر الجص ايضاً واثنان غيرها من حجر الصفاح وخاوية من فخار مكسرة . أما موميّة الثور فكانت في وسط القبر مبروسة والا . من فوقها . وكان بالقرب منها علانث من نحاس اصفر وهو الدليل على ان الجثة كانت في ناوس من خشب عانت بر ايدي المتلصقين منذ القدم

وقد وجدوا ايضاً بجانب القبر بعض اشياء غير التي ذكرناها منها خاتم وقطع صفايح حجرية منقوشة فاودع كل ذلك في متحف العاديات

## ٢

ان ملك ايطالية قد عهد من سنوات غير قليلة الى الميوسيا پاراتي ان يتولى لشغلاً تنقيّة عن العاديات في مصر . وسنذكر في ما يأتي من القول ان هذا العلامة الذي له اليد الطولى في الآثار المصرية قد توفى الى اكتشافات هامة في مصر العليا .

وقد باشر الاشغال في سهول هيلوبوليس في اوائل سنة ١٩٠٤ ثم عاد اليها بعد عيد القطع من السنة المذكورة حتى متوسط شهر تموز وسيمود اليها السنة المقبلة . وكان عدد القبّة مائتين تقريباً يشتغلون في ثلاث قطّ مختلفة بالقرب من القبّة وفي عزبة العرب شمالي هيلوبوليس على ضفة الترعّة التوفيقية واخيراً في اقصى كوم الردم نحو الشرق عند بيوت المطرية

لايسنا الان ان نحف وصفاً كافياً مدقاً تلك الاكتشافات لانه الى هذا العهد لم يُنشر عنها بالطبع شيء كما انه لا يلقى بنا ان نسبق حضرة المكشف الى تعريف نتائج سميّه وجده والكتابة عنها بالتفصيل . وعليه فاننا نكتفي بذكر الالهة منها

ان اعمال الحفر التي اجريت بالقرب من القبّة قد وقمت على ذات الحبل الذي كان الهيكل القديم قائماً عليه وقد اوضحت رسمه بالتدقيق وهذا الرسم كان مجهولاً قبلها وبناء على ذلك قد تقرّر ان الهيكل كان شرقي القبّة

ولكن ثمة يوسف له كل الأسف ان الأعمدة والتماثيل التي كان ذلك الهيكل  
البديع مزداناً بها لم يبقَ منها شيء فانبأ كلها قد حطمت أو نُهبَت أو بيعت للقيام بنقطة  
المساكن الجديدة . كذا قل عن كل الابنية لا فقط في هيليو بوليس بل في سائر المدن  
التي نشأ بالقرب منها مدن حديثة فان هذه بنيت بججارة تلك . اذا لم يخرجوا من الارض  
سوى انكسر والحطام وكل ما وجدوه من تماثيل كبيرة او صغيرة وآنية خزفية وازاريز  
اعمدة كل ذلك كان من التان على درجات متفاوتة

قد وجدوا ايضاً في باحة الهيكل رجلَ بازٍ عظيمة جداً يقتضي ان يكون عارٍ تماثل  
الباز ٢ امتار ليكون بينها وبينه النسبة اللازمة . وهو اعظم تماثل باز شهدهت آثاره  
حتى الان

وثمّ اليهم الموزع قطعة نقش عليها اسم « پاميتيك » احد ملوك الدولة السادسة  
والعشرين . فانه من المعلوم ان الهيكل قديم العهد جداً وقد جدد بناءه على مقام معبد  
قديم امينحات الاول (٢٢٠٠) اول ملوك الدولة الثانية عشرة

ثم ان ولده وخلنه « اوزيرتسن » الاول نصب المستن امام الهيكل احداهما  
باقية الى اليوم والاخرى قد سقطت في القرن الثاني عشر فنقلت الى الاسكندرية .  
وكثيراً ما تشاهد عليها اسم رعيس الثاني ورعيس الثالث وهذا يدل على ما كان  
لهذين الملكين من العناية في تزيين معبد الشمس واكرامه . على ان اسم پاميتيك  
الذي وجد لأول مرة يثبتنا بان المعبد المذكور لم يزل في عهد الدولة السادسة والعشرين  
محفوظاً باكرام عظيم

واننا نعلم ايضاً من مصادر اخرى ان كهنة هيليو بوليس على عهد السلطة اليونانية قد  
كان بقي لهم بعض الشهرة في المعارف والحكمة فان هيرودوت تصدهم وافلاطون على  
ما قيل اقام بينهم ثلاث عشرة سنة ليتخرج على مذاهبهم ولما زار اسطرابون مصر وجد  
الهيكل قائماً مصوناً . وعندما استولى الاسلام على بلاد مصر كانت خراب الهيكل  
لشبه بقلعة من القلاع ولذا سمو ذلك المكان « الحصن »

اماً نتيجة العمل في عزبة العرب شمالي المسلة فقد كانت استخراج قطع عديدة  
من الحجر الحبيب منحوتة قد أعدت لاريب لأبنية مدينة القاهرة وعليه لم يبقَ  
فيها بقية لاصحاب العاديات . غير ان قطعة منها او بالاحرى مجموع قطع يستحق ان

نوجه إليه نظرة وهذا قد كان في اول امره تاووساً عظيماً من حجر واحد ثم تكسر واذا  
 حكنا بموجب ما بقي منه فربما كان عاره ٣ امتار وطوله سبعة وعرضه ثلاثة  
 ولست ترى في محله الاصلى سوى قسم من القاعدة ومن الجدار الغربي . وفي اسفل  
 جداره هذا اثر ضرب ازميل - يشير الى انهم حادوا قلعته . وكان الجدار الشمالي ملقياً  
 على الارض قطعتين وهذا هو اهم جزءه من التاووس الذي نحن بشأه لان قد حُفر فيه  
 صورة ملك جالساً ويده الصولجان وعلى راسه تاج مُلك مصر السفلى والعليا . لكنه  
 يستحيل تعيين هذا الملك اذ لا كتابة عند الصورة تساعد على ذلك  
 امأ في النقطة الثالثة او كرم الردم شرقي هيلوبوليس فانَّ الشغل ورغماً عما بُذل فيه  
 من الجِد والهمة لم يأتِ بادئ بدء بنتيجة تذكر . على انَّ النقب والحفر لم يتقطع حتى  
 اوصلهم الى جدار من اللبن مانل قد اماله على ما نرأى انهار التراب . ولما خرت  
 معاول القلعة ذلك الجدار انتشبت في الرمال فاخرجوا منها كمية عظيمة فاذا هم بترفة  
 واسمة محاطة بمجدران من لبن . ويحتمل لنا ان اعتبرنا نوعية وهيئة الاشياء الموجودة في  
 هذا المكان القول بانهُ مسطبة قديمة العهد ترتقي الى أيام الدولة الاولى او الثانية  
 وهو اكتشاف غريب لم يكن يُرجى حتى مسير ماسيرو ذاته قد اخذه منه العجب .  
 وكل ما وجد في الحفائر من تماثيل صغيرة وآنية خزفية وقطع صوان منحوتة تشبه كل  
 الشبه ما وجدوه في مدافن تقارة وايدوس القديمة . فهي لا ريب من زمن واحد  
 وحضارة واحدة . تلك الحضارة التي كانت قد ضرت اطنابها في مصر العليا والتي قد  
 وجدوا من بضعة سنوات شيئاً من آثارها في تقارة وما من احدٍ كان ليظن انها  
 انتشرت وامتدت الى مصر السفلى . هذا وانَّ مسير جان كاپار في مؤلفه عن اوائل  
 الصناعة في مصر قد اتى على ذكر ما بقي من آثار ذلك العهد القديم ووصفها وصفاً مدققاً  
 وقد حدّد ثمن وجودها حدّاً دون الاربعة الاف سنة قبل المسيح . ولكن بما انه  
 يستحيل القول بؤمن معين فقد ارتأى مع المسير فليندر پتري ان يسيا حضارة تقارة  
 فان كل الدلائل تدل على انَّ تقارة كانت مركزاً لها . والحال انَّ مسافة تقارة عن  
 هيلوبوليس ليست باقل من ٦٠٠ كيلومتر ومن هذا ترى عظم امتداد وانتشار تلك  
 الحضارة القديمة . وذلك الاكتشاف ذاته يمكننا من الحكم على مدينة هيلوبوليس كم

كانت عريقة في القدم اذ انه وجد فيها ابنية اقدم من ممفيس عهداً وهي تقاصر اول  
مدن انشئت في ارض مصر

واذا ما نشر الميسو شاپارتي صور ما وجده من قطع الصوان الحذدة والتأثيل  
الصغيرة يتيسر بل يحاور لعلماء العاديات ان يقابروها مع ما نشره الميسو كاپار والميسو پتري  
تأ وجد في مصر العليا . فتكون للعبارة بينها فائدة لقدم عهدها اذ انها تسبق  
الاهرام بنحو من الف سنة . وهكذا يسهل على العلماء حل مسألة مبدأ الصناعة  
المصرية التي طالما وضعها موضع الاسرار الغامضة . والى هذه الحس عشرة سنة  
الاخيرة لم تكن نعرف من آثار مصر القديمة سوى الاهرام ومدافن الجيزة والى الممول  
وتأثيل شفرن . والحال ان تلك هي اعمال قد بلغت اوفى حظ من الكمال وقد انشأها  
قوم في اوج الحضارة لا في مهدها . اماً ما سبق ذلك العهد من العصر الاعدادية  
فقد كنا نجهل امرها كل الجهل حتى انه قد حق لاحد علماء الآثار المصرية ان  
يقول في زمانه : « اننا لا نعرف من صناعة المصريين وفنونهم سوى دور الحرم  
والانحطاط »

فهذا القول قد اصبح اليوم خلاف الحقيقة لان اكتشافات نقارة وايدوس  
وهيلوبوليس قد اطلعتنا على آثار اقدم عهداً من الاهرام ولعلها ترتقي الى الوف من  
السنين قبل المسيح وتتصل بمهد الصناعة المصرية ذاته  
وليسح لي حضرة الميسو شاپارتي ان اختم هذه المقالة بتقديم عواطف شكري  
له على ما اظهره نحوي من جيل لطفه اذ تنازل واطلعتني هو بذاته على كل ما وُفق  
هذه السنة الى اكتشافه في هيلوبوليس

